التعامل مع الآخر ضرورة حضارية
ضرورات التعامل مع الآخر من منظور شعبي

إعـــــداد

أ. د/ كمال الدين حسين

أستاذ الأدب المسرحى والدراسات الشعبية

بكلية التربية للطفولة المبكرة

جامعة القاهرة

مجلة رعاية وتنمية الطفولة (دورية – علمية – متخصصة – محكمة)

يصدرها مركز رعاية وتنمية الطفولة – جامعة المنصورة

العدد الثالث عشر- ٢٠١٥م

التعامل مع الآخر ضرورة حضارية
ضرورات التعامل مع الآخر من منظور شعبي

اعداد
أ. د/ كمال الدين حسين
أستاذ الأدب المسرحى والدراسات الشعبية
بكلية التربية للطفولة المبكرة
جامعة القاهرة

هناك مفهومان يجب التعرف عليهما قبل أن نحاول إلقاء الضوء على أهمية وضرورة التعامل مع الآخر ، كما جاء في تراث الحكى الشعبي المصري، باعتباره اقدم أشكال التراث عالميا وعربيا ،ولتأثيره على كافة المقولات الشعبية في المنطقة إن لم يكن في العالم القديم.

المفهوم الأول: ماذا نقصد بالحضارة ؟

كما نعرف جميعا هناك خلط أو تداخل كبير، بين تعريف الحضارة من جهة والثقافة من جهة أخرى، وكما يقول مصطفى النشار: " فإن كلا المصطلحين قد يستخدم للتعبير عن الحضارة، ولا مانع يمنع في إطار ذلك بين الحديث عن الجانب الروحي للحضارة، أو الحديث عن الجانب المادي التقني لها"([1]).

ولما كان الإنسان يخضع في حياته لجانب وجداني (روحي) يشكل المحددات الدافعة للعمل و استمرار الحياة نفسها، ويتشكل من المعتقدات والأفكار والقيم، التي يكتسبها الإنسان، من الدين والعرف والتقاليد، بجانب أساليب إشباع الاحتياجات البيولوجية والنفسية التي تثار لديه بدافع إنسانيته وحقه في الحفاظ على حياته، والسعى نحو التميز، وجميعها

[1]- في فلسفة الحضارة –جدل ألانا والآخر ،دار قباء الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة –٢٠٠٧ ص ٢١

احتياجات طبيعية مشروعة، يسعى الإنسان لإشباعها، تحت مظلة المسموح وغير المسموح، مما تشكله كافة الأفكار والمعتقدات والتقاليد التي ترضاها الجماعة، ولابد أن يرضخ لها الإنسان في مقابل انتمائه للجماعة التي توفر له الحماية و الأمان، وتحقق له الهوية. وذلك بالقدر الذي يجعل الإنسان يعيش سعيدا راضيا، متميزا، لتستمر به الحياة، وهذا الجانب هو ما يعرف بالثقافة.

أما الرغبة في إشباع الاحتياجات، فيشكل الدافع الأول وراء كل ما يبدعه العقل الإنساني، -الذي ميز به الله سبحانه وتعالى الإنسان – من تقنيات وأدوات تساعده علي التحكم في الطبيعة ومصادر ثرواتها ، باعتبارها أولى المصادر لإشباع الاحتياجات، وهنا نصل إلى مفهوم الحضارة.

على ذلك فالإنسان يخضع في حياته و أفعاله، لذلك الجانب الوجداني بما يتضمنه من معتقدات وأفكار وأعراف، يدفعه للفعل والإبداع، ويبدع من خلال قدراته العقلية و الادائية، الأساليب والتقنيات والأدوات التي تمكنه من إشباع احتياجاته مهما كانت وتنوعت.

يؤكد ذلك ما قاله أيضا مصطفى النشار : "إذ على الرغم من أهمية التقدم المادي الذي يمكننا من السيطرة على الطبيعة واستغلالها لصالح الإنسان، إلا أن سيطرة الإنسان بعقله على نوازعه، يقصد به في الأساس توجيه إرادة الأفراد والمجتمع، وجهة تحقيق الخير للجميع بشقيه المادي والمعنوي"[1].

من منطلق هذه النظرة الأخلاقية للأمور، يمكن أن نميز ما بين الثقافة والحضارة، ليس كنقيضين أو مختلفين، بل باعتبارهما وجهان لعملة واحدة، وهنا اتفق في أن الثقافة، كما عرفها تايلور، وآخرون ، تتلخص في أنها: "مجموعة العادات والقيم والتقاليد التي تعيش

[1] - المرجع السابق ص ٢٤

وفقها جماعة أو مجتمع بشري، بغض النظر عن مدى تطور العلوم لديه أو مستوى حضارته وعمرانه..[1] ، أي أنها تشكل الجانب الوجداني أو الروحي، لو صح القول.

أما الحضارة فيقصد بها بالضرورة الجانب المادي والتقني، الذي أبدعته العقلية الإنسانية، والمتمثل في الأدوات والمعدات التي ساعدت الإنسان فى السيطرة على الطبيعة، وتوظيفها لصالحة، يؤكد ذلك أن أي تقدم إنساني لابد أن يبدأ بفكرة، يتم تبنيها والاقتناع بها، ومن ثم تتحول بالفعل إلى واقع يسيطر على كافة مناحي الحياة، والإبداع الذي يخدم تحقق هذه الفكرة ويجسدها، فالعناصر الثقافية إذا هي أول إبداعات الإنسان ،تلتفت حولها الجماعة، ومنها تنطلق لتبدع الحضارة التي ترتبط في إبداعها بما تحدده الثقافة من دوافع تسعى للخير، كما يتراءى للجماعة ويعمل لصالحها، والنواهي التي تسيطر على نوازع الشر التي قد تكون ضد صالح الجماعة. وقد ساعد إبداع اللغة الجماعات الأفراد "على اكتساب المعرفة والخبرات والمشاعر، ومشاركة الآخرين فيها، كما ساعدت على تواتر الثقافات والحضارة من جيل لآخر"[2].

لكن مع هذا الفرق، إلا أن هناك رابطا قويا يربط ما بين الثقافة و الحضارة، ويعود لما تتميز به الثقافة من مرونة، وهو عنصر التطور، فإن كانت الثقافة هي الإطار الذي يتم فيه إبداع مقومات الحضارة، ففي الاتجاه الآخر، تؤدى الحضارة بما تحققه من إشباع لاحتياجات البشر إلى ظهور أفكار وقيم جديدة، قد تلقى في بدايتها مقاومة في الاقتناع بها، لكن بعد أن يستشعر البشر أنها في صالحهم، وأنها تعمل على تحقيق مزيدا من الرفاهية لهم، وتوفر الجهد والوقت، تبدأ الجماعات في تبنى هذه ألا فكار والقيم، وتضاف إلى نسيجهم الثقافي، أو تستبدل بعناصر ثقافية أخرى لم تعد الجماعة تشعر بأهميتها لها كما كانت من قبل.

---

[1]- http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9

[2]- PerryChase &others, WESTERN CIVILIZATION, Houghton Mifflin comp Newyork2004

بمعنى أن الثقافة والحضارة في تطور مستمر، وإن كان التطور الحضاري أسرع في إيقاعه، من التطور الثقافي، لكن تظل العلاقة بينهما تبادلية تخضع للتأثير والتأثر، والاستمرارية، طالما استمرت الحياة.

أما ثاني المفاهيم فهو مفهوم الآخر، ذلك المفهوم الذي شغل العالم والبشر منذ أن تجاورت الجماعات الإنسانية في أسر وقبائل، بعدما عرفت الاستقرار الحضاري في العصر الحجري الحديث، وبدأت في تبادل المعارف والخبرات، إلى اللحظة التي بدأت غلبة النوازع الشريرة على البعض، فبدأ الاعتداء بقصد الاستحواذ على مقدرات الغير وأراضيهم وثرواتهم، إلى أن وصل الأمر مع بداية الحضارة الغربية الحديثة و أفول الحضارات الشرقية والعربية، إلى استعمار البلاد والاستيلاء على المعارف، ونسبتها إلى الغير وإنكار إنجاز الحضارات الأخرى، وتعدت السيطرة على الأفكار والعلوم إلى البشر، فظهر عالم الرقيق والعبيد وتمايزت الناس إلى سادة وعبيد، وتابعين، وتفشت العنصرية في الحضارة الوليدة في أوربا وأمريكا، وبدأ الاستعمار العسكري والغزو المدمر للحضارات يظهر في الحياة البشرية.

من هنا كانت صورة الآخر دوما بالنسبة للعرب والمصريين، هي صورة الغربي المحتل، الناهب لخير الأوطان، فالآخر يسرق ولا يريد الخير لأصحاب الأرض، ولا الرفاهية أو الارتقاء، فتولدت روح العداء والرفض للآخر وحضارته، وكل ما يجئ من ناحيته، ووصل الأمر إلى المقاومة المسلحة في بعض الأحيان، أو الاستسلام والتبعية في معظم الأحيان.

لكن هل الغربي وحده هو الآخر اليوم في ظل التردي العربي ؟

اعتقد أن دائرة الآخر اتسعت اليوم في عالمنا العربي، لتشمل الجميع، بعد أن طغت نظرية الشك والتآمر على كل شئ، واصبح الفرد ينظر للجميع على أنه آخر ينتهز الفرصة لاقتناصه، بداية من الجار في السكن، فالجار في الوطن، فالجار الإقليمي، ونهاية بالجار الكوني ؟.

الأمر الذي لابد معه من إعادة النظر في ثقافة التفاعل مع الآخر، و إعادة النظر في العلاقة بين ألانا والآخر، وألانا هنا هو الإنسان في عمومه، فكل منا ينظر إلى نفسه باعتباره أنا متميزة، وأن هناك آخر يتربص به، حتى الأقوى بين الأفراد والدول، ينظر إلى الآخر باعتباره أخرا حاسدا شريرا، وينتظر الفرصة لاقتناصه، الأمر الذي يبشر ببداية انهيار الحضارة الإنسانية، المتقدم منها والمتخلف. فالتعامل مع الآخر اليوم تجاوز الجوانب الوجدانية والإنسانية، إلى تدمير الجوانب الطبيعية والمادية، ومصادر ثروات الطبيعة، مما دفع بالكل لمحاولة السيطرة على كل شئ، من أرض وثروات وبشر إن لزم الأمر.

ووصل الأمر إلى تغير الثقافات، ونسى الجميع كل القيم التي كانت تؤازر انتصار الحق والخير والجمال، مقابل التمسك، بما يحقق فردية الإنسان، وملكيته، وظهرت في الأفق سياسات التبرير للنوازع الشريرة، بكل الطرق، من أجل السيطرة والسطو على مقدرات الآخر.

وفى رأيي أن ما يحدث في العالم اليوم، هي نزعة شيطانية لن تدوم لأنه ليس لها جذور في تاريخ أو ثقافات الشعوب، ولا يعقل أن ينتهي ما تماسكت الشعوب حوله لملايين السنين، في غمرة نزوة أحادية الجانب، لذلك كان لابد من أن نذكر بالرؤية التراثية، التي حفي بها الحكى الشعبي على مر التاريخ بما يؤكد ضرورة التفاعل مع الآخر، باعتباره ضرورة حضارية، تعمل من أجل رقى الآخر والأنا معا، من أجل رفاهية وأمان الإنسان في كل زمان ومكان.

أشكال التفاعل مع الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

"يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا "

صدق الله العظيم [1]

[1] - الحجرات ١٣

هكذا نادى الإسلام، وكافة الديانات ومن قبلها كافة العقائد المبكرة في عمر الإنسان، وظهر في كافة أشكال الحكى التي عرفتها البشرية لتعبر من خلالها عن أحلامها وأمانيها أمالها، بداية من الأساطير حتى النوادر والأمثال الشعبية، جميعها أكد على ضرورة التفاعل أو التعامل مع الآخر، والتعارف معه وعليه ،وتبادل المعارف والخبرات معه، من أجل رفاهية كل البشر، فالله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان واسكنه الأرض، وزع البشر في جماعات وميز كل جماعة منها بخصال، وأورثها بقعة من الأرض تتناسب مع خصالها، ولا تتشابه مع غيرها، حتى يكون هناك تفاعل دائم بين البشر، وأن يتكامل الجميع فيما بينهم، ليتوحد الكون من هذا التكامل، فهو التكامل الذي يؤدى إلى التوحد والوحدة، باكتمال دائرة الأخذ والعطاء، ليعم الخير على الجميع، لذلك فإني أري أن تفاعل الأنا والآخر لابد وان يتم من منطلق التكامل وليس التكافؤ فالله سبحانه وتعالى خلقنا متمايزين غير متكافئين، وأورث كل منا بعض مما يحتاجه الآخر، لذلك لابد من التعامل بمنطق أن كل منا يكمل الآخر، ولابد من التكامل من أجل صالح البشرية والكون.

تبادل المعارف أول أشكال التفاعل المتكامل:

أول قواعد أو محددات هذا التكامل أن يكون هناك مجالا من تبادل المعارف، بين الجماعات كما أكدت كافة أشكال الحكى الشعبي ومنها، الأساطير، التي تعتبر أول أشكال التفكير، الذي حاول الإنسان به البحث عن إجابات لأمور نحاول الإجابة عليها اليوم بالعلم، فالأساطير "كانت المحاولة الأولى لتفسير الكون وتاريخ الإنسان، والمانح الأول لسكان ما بين النهرين ومصر، إطارا من النماذج يصيغوا عليها خبراتهم وممارستهم الحياتية لتكتسب معنى لها، وتضبط القواعد الحاكمة لعلاقتهم، وتكشف لهم أسرار الوجود"[1].

من هذه الأساطير عرفت مصر، أسطورة إيزيس وأوزوريس، والتي تعد من اقدم الأساطير، التي تجمع ما بين الرؤيا العقائدية والحياة، وتضع أسس العلاقات الإيجابية بين الحاكم والشعب من جهة، وبين الدولة وجيرانها، وهو المقصود هنا، ففي الأسطورة، "عندما

[1] - p29 Perry Chase, Western civilization < IBD

ظهر أوزوريس الملك الإله، كانت الناس في مرحلة البربرية، لكن أوزوريس علمهم أساليب الحضارة، وعلمهم ماذا يأكلون، ووضح لهم كيف يزرعون، وكيف يقدسوا ألآ لهه ويعرفون عنها القوانين، وحكم الناس بقوة الإقناع، لا بقوة السلطة، وعندما استكمل حضارة مصر، قرر أن يقوم بنقل معارفه لباقي أجزاء العالم، تاركا إيزيس الزوجة والشقيقة لتحكم البلاد"[1]. ورحل ليعلم الناس كيف يزرعون ويصنعون النبيذ، وفى أثيوبيا، علمهم كيف يتحكموا في فيضان النهر، ويشقوا الترع.

هكذا سنت الأسطورة أول مجالات التكامل بين البشر، بين ألانا والآخر، بتبادل المعلومات والخبرات، وهكذا نادى تراثنا متمثلا في واحدة من أهم أساطير العالم القديم .

الاستفادة من الحضارة حق مكفول للجميع، ثاني أشكال التعامل مع الآخر:

في واحدة من حكايات ألف ليلة وليلة، والتي تعد من أهم الحكايات الشعبية الاجتماعية، التي تحدد علاقات الناس بعضهم ببعض، وتعرض في إطار أخلاقي، ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين ألانا والآخر، وهى حكاية أبى قير وأبى صير، والتي اخترتها لمصريتها، تأليفا وشخوصا، ففي الحكاية عندما يضيق الحال في مصر على أبي قير الصباغ، وأبى صير المزين، يرحلا عن طريق البحر إلى بلد مجاورة، وهناك يعلمهم أبى قير أصول الصباغة، ويربح الكثير، أما أبى صير فيبنى لهم حماما، يزيد من رفاهيتهم واستمتاعهم بالحياة، فعندما زار ملك المدينة الحمام، قال لأبى صير :"وحياة رأسي إن مدينتي ما صارت مدينة إلا بهذا الحمام، ثم قال له أنت تأخذ على كل راس أي شئ أجرة، قال أبو صير الذي تأمر به، فأمر له بألف دينار، ...فقال له العفو يا ملك الزمان ...إن الناس ليسو سواء بل فيهم الغنى وفيهم الفقير ...فقال الملك وكيف تفعل في الأجرة ، فقال أبو صير سآخذ من كل إنسان على قدر حاله .. فقال الملك كلامك صحيح ولكن هذا رجل غريب وإكرامه واجب علينا "[2]

---

[1] - Veronica Ions, Egyptian Mythology ,NEWNES BOOKS,1986 P51

[2] -الف ليلة وليلة ،الربع الرابع ،الجزء الثانى ،طبعة وليم حى مكناطس سكرتير الولة الانجليزية في الممالك الهندية ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ،مصر ١٩٩٧ ص ٣٧٩

وهكذا سن الراوي سنة حميدة، أن الرفاهية حق للجميع دون تميز، بسبب فقر أو غنى، أو عنصر دون الآخر، وهذا الإطار الأخلاقي هو الذي لابد من أن يتحكم في العلاقة بين الأنا والآخر، فلا يصح أن يحرم إنسان أو مجتمع لأي سبب كان من الاستفادة من الإنجازات الحضارية، بل هي حق مكفول للجميع.

المساعدة في درأ المخاطر، ثالث أشكال التفاعل مع الآخر:

وإن كان أبى قير وأبى صير، استفادوا من حاجة الآخر لمعرفتهم وخبراتهم، فنقلوها لهم، وربحوا المال الكثير، فهل الكسب والربح المادي فقط هو شرط تبادل المعارف ؟

يجيب على هذا السؤال شكل آخر من الحكايات الشعبية، وهو ما يعرف بحكايات الخوارق، ففي تراثنا الشعبي، وفى حكايات البنين، نجد نماذج تتعاون بجهدها مع الآخر، ليس من أجل المال بل من أجل المروءة، في حكاية أبناء العم الثلاثة، بعد أن يلقى أبناء العم بالشاطر حسن في البئر، ويتركوه وحيدا يبحث في قاع البئر فيجد طريقا، يسير فيه إلى أن يلتقى بجماعة من الناس تبكى "سأل رجل كبير، قال الرجل: إن في مارد كبير، وحش عظيم يهدد المدينة ولازم كل سنة المدينة تقدم له بنت جميلة يأخذها لنفسه، والسنة دى جى الدور على بنت الملك صاحب القصر ده، عشان كده الناس بتعيط، الشاطر حسن لما سمع الكلام ده قال لهم ما تخافوش أنا بإذن الله حانقذها واخلص البلد من الوحش ده.

استخبي الشاطر حسن في مكان ماحدش يقدر يشوفه منه، وفضل مستني لحد ماجه المارد الوحش عشان يا خد بنت الملك وطلع عليه الشاطر حسن وبأيديه سيفه وقال بعزم صوته بسم الله، الله اكبر وراح ضارب المارد ضربة واحدة موتته، البلد شافت المارد انتهى وبنت الملك ربنا نجدها على ايد الشاطر حسن، فرحت وغنت والملك فرح"[1].

[1] - من جمع د. كمال الدين حسين، طالبات كلية رياض الأطفال الفرقة الثالثة، ١٩٩٤.

وهكذا لابد من مساعدة الآخر في درأ المخاطر، ونلاحظ هنا أن الراوي يؤكد على أن الانتصار كان بعون الله، وهو ما يميز الجانب الأخلاقي العقائدي في التفاعل مع الآخر، مما يؤكد على قداسة العلاقة بالآخر، تلك العلاقة التي نادت بها كل العقائد والأديان.

نشر المحبة بالكلمة الطيبة والبدء بالسلام، رابع أشكال التفاعل مع الآخر :

- وكما رأينا في النماذج السابقة، لم يطلب أحد من الآخرين أجرا، أو مثوبة عما قدمه لهم من معارف أو خبرة أو جهد، بل كانت المكافأة دوما تأتى من حيث لا يحتسب، بالعكس عندما يكون القصد من شكل التعامل أو التفاعل، مخطط له من اجل حدوث فائدة شخصية قد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، كما حدث مع أبو قير، في حكايته، فبعد ان فتح المصبغة وكسب الكثير كما كان مخطط لنفسه، وسمع أن أبو صير قد فتح الحمام وربح الشيء الكثير، ملأه الحسد، ولم يرضى لصديقه الخير، فكاد له عند الملك، لكن الملك اكتشف كيده، فأمر بهلاكه، لذلك يؤكد الحكى الشعبى دوما، على العطاء من اجل العطاء وخير البشرية، أما الجزاء فلابد أن يأتى، تحفيزا لكل من يسعى لفعل الخير مع الآخر، كما تؤكد الحكايات على ما يمكن أن تفعله الكلمة الطيبة، التي يجب أن تكون أساسا للتفاعل مع الآخر، ففي حكايات البنات، المتعددة الصياغات، نجد البطلة (ست الحسن أو لوليا أو فرت الرمان أيا كان اسمها) تتعامل مع الناس بالكلمة الطيبة، فتحصل على اكثر مما توقع، ففي حكاية بدر البدور، تغار زوجة الأب من جمال بدر البدور على ابنتها، فتكيد لها وترسلها في مهمة لا عودة منها "أسمعي يا بدر البدور أنا عايزاكى تروحي لحد شجرة الجمال في الغابة، تجيبي ورقة الجمال لأختك رمانة، بدر البدور عارفة إن الغابة فيها وحوش ماترحمش لكن ماتقدرش تقول لا لأنها بتحب رمانة وتحب زوجة الحطاب ...دخلت بدر البدور الغابة واستعانت بالله، لكنها ما كنتش عارفة فين شجرة الجمال، راحت لشجرة الفل قالت لها: السلام عليكم يا شجرة الفل يالي وردك لونه ابيض جميل، وسألتها، قالت لها اسقيني، سقت شجرة الفل، شجرة الفل شكرت بدر البدور وقالت يا رب اجعل لونى في لون وجهها، راحت بدر البدور لشجرة الورد، قالت لها "السلام عليكم يا شجرة الورد الجميل وسألتها عن

شجرة الجمال، شجرة الورد شكرتها ، وقلت لها اسقيني/ سقت شجرة الورد، شجرة الورد قالت يا رب لون وردى يجى في خدودك" [1]

وهكذا كوفئت بدر البدور على كلمتها الطيبة ومبادرتها بالسلام، وربحت الدعاء المستجاب وازدادت جمالا، وكم أنقذت الكلمة الطيبة، و إلقاء تحية السلام أبطال الحكايات من شرور ومهالك كانت تنتظرهم، واعتقد أن الجميع قد سمعوا العبارة المشهورة" لولا سلامك سبق كلامك لأكلت لحمك قبل عظامك"

كيف نتعامل مع الآخر؟

لم يترك الراوي الشعبي هذا السؤال بدون إجابة، وكما حددت الحكايات الأشكال، جاءت الأمثال الشعبية، التي تمثل حكمة الشعب وخلاصة تجربته في أقوال محددة موزونة، لتضع أسس العلاقة بين ألانا والآخر، بوصفه الجار، وكما سبق الإشارة فإن مفهوم الجار هنا يصدق على أي جار يمكن التعامل معه، فما هي الأسس التي وضعتها الأمثال الشعبية للإجابة على سؤال مثل كيف نتعامل مع الآخر؟.

قبل أن نحدد تلك الأسس لابد من إلقاء نظرة عل منهجنا هنا، في تأويل ما سوف نختاره من أمثال شعبية، ندلل بها على مقصدنا، ويتلخص هذا المنهج في محاولة إعادة استقراء أو تأويل جمع من الأمثال الشعبية، بمنظور معاصر لتخدم الهدف الذي نسعى للتأكيد عليه، وحجتنا هنا ما للتراث الشعبي من مرونة تجعله صالحا لكل زمان ومكان، وأن هناك اختلافا كبيرا في كثير من مواقف الحياة، مما يحتم إعادة النظر في تفسير وتأويل مقاصد الأمثال الشعبية لاختلاف المضارب التي تضرب بها اليوم، عن تلك التي كانت سببا في إبداع العقلية الشعبية لها، زمن إبداع وتبنى الأمثال، لكن هذا لا يعنى لي ذراع المثل، أو مخالفة ما جاء من اجله، لكنها إن صح القول، طريقة لإصلاح المسار، أو مواءمة بين الواقع الآني المغاير

[1] ـ نفس المصدر السابق

بالضرورة لواقع إبداع المثل، والاستفادة من حكمة الأسلاف ، في إنارة الطريق أمام شباب اليوم، وهذه واحدة من أهم وظائف التراث.

١ـ الإيمان بالمساواة بين البشر :

أـ "إحنا أخوات وربنا خلق وفرق"

هكذا يقول المثل الشعبي المصري، فالله سبحانه وتعالى هو خالقنا، وهو الذي وزعنا على سطح المعمورة، ولا دخل لإنسان في ذلك، فلماذا يحاول الإنسان أن يفرق بينه والآخر، من جانب آخر يمكن فهم التفريق هنا، مختص بالرزق، فعلى ذلك إن كان الرزق من عند الله، فلا داعي لحسد أو حقد، أو كبر بسبب المال. إذا فهناك مساواة لأننا جميعا من صنعة الله، وأي اختلاف في مكان أو زمان أو رزق فهو بإرادة الله.

بـ" إيه خيرك عنى دا انته ابن عمى"

يؤكد ما سبق هذا المثل، فنحن يا اخوة يا أولاد عم، فلا داعي للفرقة، لاننا جميعا سواء.

٢ـ التسامح:

أـ "إحنا ولاد النهاردة"

بمعنى انه لا داعي لأن نعيش في الماضي ، ونحاول بدأ صفحة جديدة بيننا وبين الآخر ، حتى تستمر الحياة، ونعمل بالقول السائر "عفا الله عما سلف"

بـ " أهل السماح ملاح "

والملاح هم الناس الطيبون ذو الخلق الحسن، وبالتالي يكون التسامح من شيم الطيبين، ذو الخلق الحسن.

٣ـ الحرص على الجار :

أ ـ "جارك وان جار"

وحتى إن جار عليك الجار، فلا داعي للقطيعة وحاول أن تمنحه فرصة فقد يكون ما صدر عنه، نتيجة ظرف غير اعتيادي، لذلك ولأهمية الجار لابد من التدقيق، قبل اخذ القرار.

بـ " تعرف فلان ؟ قال اعرفه، قال: عاشرته ؟ قال ماعاشرتوش، قال: يبقى ما تعر فوش"

هنا يقصد القائل انك لا يصح أن تصدر حكما على شخص دون معرفة وثيقة، فالمعرفة السطحية أو السريعة، لا يمكن الارتكان إليها في إصدار أحكامنا على الآخرين.

ج ـ "الشرط عند الحرث، ولا النزاع عند الضم"

المعنى هنا واضح ويسن شرطا هاما في الحفاظ على الجار، وهوضرورة الاتفاق على كل شئ قبل الشروع في المشاركة مع الجار أي عمل، حتى تكون كل الأمور في النور، وتبعا لما تم الاتفاق عليه، دون الركون لعواطف أو فقدان الثقة ، وهناك مثل آخر في هذا السياق، يقول "إن كنتم أخوات اتحاسبوا "

د – " شرط المرافقة الموافقة"

يقصد هنا أن الإنسان عندما يشارك آخر في عمل أو مشروع أو حتى صداقة، لابد من موافقة الطرفين على هذه العلاقة، فالعلاقة التي يسعى أليها طرف واحد ،يشوبها الخلل ، أما العلاقة السوية فهي التي يربطها موافقة الطرفين أولا ، واتفاقهما على كل تفاصيلها .

ه – " صباح الخبر يا جارى، قال: أنت في دارك وأنا في دارى "أو في صياغة أخرى "صباح الخير يا جارى أنت في حالك وأنا في حالي"

المقصود في كل من الصياغتين، أن تكون هناك خصوصيات للجيران ، أولكل من الأنا والآخر لا يصح أبدا أن نتدخل فيها، دون دعوة للمشاركة، ودلالة المثل هنا قد تخالف الشائع

في أن المثل يدعو للقطيعة، لكن افتتاحيته، تدعو لاستمرار العلاقة مما يخالف من يدعى أن المثل يدعو للقطيعة.

و- "في وشه ولا تغشه"

إن الحرص على الجار يحتم على الأنا أن يواجه الآخر بكل مايدور في صدره من شكوك، أو ظنون في الجار، ليعرف أولا بأول كل ما غلق علي فهمه من سلوك، ولابد من المصارحة، بدلا من التعامل، بمواربة، أو نفاق، وهذا لا يتفق مع أخلاقيات الثقافة الشعبية، التي تدعو دوما لترابط الجماعة، ومن أهم شروط هذا الترابط المصارحة أو الصراحة في التعامل، وكما يقولون "الصراحة راحة".

٤-الحرص في التعامل دون إهانة :

ا-"حرص من صاحبك ولا تخونه"

من المهم أن نحافظ على علاقتنا بالآخر، دون محاولة لإهانته، أو إحراجه، بمعنى أننا نكون على حذر في التعامل، أن ندقق في كل الأمور، من اجل صالح العلاقة، دون أن نشكك في الصديق أو نتهمه في أمانته، وهذا يصدق على المثل السباق، إن التعامل المشروط بداية، افضل من ترك الأمور تسير وفقا للظروف، ثم نندم على تقصيرنا بعد ذلك، ونتهم الآخر في حين أن التقصير كان من جانب الأنا.

ب-"كتر العتاب يفرق الأصحاب"

ويرتبط هذا المثل بما سبق، ومعناه، أن نتائج الأعمال غير المخطط لها جيدا تأتى دوما بما لم نكن نتوقعه، الأمر الذي يؤدى إلى عتاب الأصدقاء، وكل يلقى اللوم على الآخر، وبالتالي، كثرة العتاب أو المعاتبة سوف تؤدى إلى الفرقة، ويتجنب كل منا الآخر، ونخسر صديق، قد يكون من المفيد لنا لو تعاملنا معه كما سبق القول بالحرص أو بوضع الشروط ودراسة العمل المشترك جيدا.

ج- "كتر الآسية تقطع عروق المحبة "

ويقصد بالآسية هنا القسوة في التعامل، وحتى لوكان العمل يتطلب شروطا وحرصا، فلابد أن يكون هذا في حدود المعقول، والمقدرة، وإلا فسر الأمر على أنه تعجيز، وقسوة، تستوجب الفرقة.

د- "إن كان صاحبك عسل ما تلحسوش كله"

والمعنى هنا يقصد به ألا نثقل على أصدقائنا ونطالبهم بأكثر مما يقدرون عليه، مثل هذا الموقف، قد يجعل الشك يتسرب إلى الصديق ويظن أن هناك نوعا من الاستغلال لكرمه أو عطائه، أوهناك نوعا من الطمع فيما لديه من قدرات أو إمكانات، ولن يرضى بالطبع على ذلك، وتكون الفرقة.

٥-الاستقامة في التعامل :

ا- "أمشى عدل يحتار عدوك فيك "

يجمع هذا المثل كثير من الحكم السابقة، وبالحث على الاستقامة، واتباع الأصول، كما جاءت في العديد من الأمثلة السابقة، مؤكد سنحافظ على الآخر، مما قد يثير أعداءنا، والمتربصون بنا، لعدم وجود أي ثغرة في العلاقة بين الأنا والآخر يمكن أن ينفثوا سمومهم من خلالها في هذه العلاقة.

٦- البدء بفعل الخير:

أ- "اللي يسئ إليك احسن له، ويكفى العايب عيبه"

نحن بشر ، معرضين للخطأ، لذلك أن اخطأ أحد ما في شخص فمن الواجب ألا يجاريه في أخطاءه، بل يحاول أن يرد الإساءة بالحسنى، هذا إن كان حريصا على العلاقة الطيبة من جهة، أو يحرص على أن يكون ذو أخلاق كريمة، ولا يعنى هذا قبول الإساءة من منطلق الضعف، بل هو كرم الأخلاق، فإما أن يستجيب الآخر إلى الحسنى ويدرك أخطاءه، وعندها يصدق عليه

المثل القائل "إن قابلك عدوك في الخلا خاليه، وإن جالك بيتك أوع تفرط فيه"، لأنه كان حريصا عليك واعترف بالخطأ، و إلا فعليك ألا تتعامل معه وتعمل بالمثل الذي يقول "اعرف صاحبك واتركه " إن كان مصدرا دائما للإساءة .

بـ "اقطع لسان عدوك بالسلام عليكم"

تماما كما في الحكايات الشعبية، يكون لتحية السلام والإسلام، فعل السحر، فمهما كان ما بينك وبين أي آخر من عداء، فيكفى إلقاء السلام عليه، للتجنب شره. وفتح صفحة جديدة معه.

٧ـ احترام معتقدات الآخر:

أـ "إن لقيت بلد بتعبد عجل حش برسيم وأدي له"

وهذا بعيدا عن النفاق، أو المداهنة لهم، بالعكس، هو صورة من صور احترام العقيدة، فأنت لست مسئولا عما يعتقد فيه الآخرين، كما انهم ليسوا مسئولون عما تعتقد أنت فيه، وبالتالي لابد أن تسود العلاقة الطبية بين الأنا والآخر بعيدا عن التميز الديني و ازدراء المعتقدات.

بـ "اللي في القلب في القلب يا كنيسة"

وهو نموذج من الأمثال الشعبية التي يجب أن نعيد النظر في تأويلها، فمن الشائع أنه يقال ليدل على النفاق أو تسيير الأمور، عند التعامل مع من يخالف الأنا في الدين، لكن في قراءته، نجد انه يحث بالفعل على احترام المعتقدات، فالقلب مكان النية والعقيدة، ولا يعرف النوايا إلا الله سبحانه وتعالى، وبالتالي، لو أردنا العيش في سلام مع من يختلفون معنا في العقائد، فلنترك أمور العقيدة لله، وبالتالي لسنا مسئولون عما في قلب كل منهم، كما انهم ليسوا أيضا مسئولون عما في قلوبنا .

نخلص مما سبق، إلى أن الحكى الشعبي، والأمثال الشعبية، قد حددت أشكال وقواعد التعامل بين الأنا والآخر، وشروط هذا التعامل أو التفاعل، الذي لو تم تبعا لهذه القواعد والشروط لابد أن تستقيم العلاقة بين الأنا والآخر، ويعيشا في سلام وتعاون يتحقق منه الخير والرفاهية للجميع، لقد كان هذا قبل أن تنادى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، بضرورة، سيادة السلام والتسامح، بين الجميع، لكن من يسمع ومن يفعل، بعد غرق الجميع في بحار السلطة والسيطرة والاستغلال، وكأن سفنهم تحركها رياح الفرقة بين الأنا والآخر، أو باسترقاق الآخر، لكن هل سيستمر الحال إلى الأبد وهناك فرقة بين الأنا والآخر، هل سيستمر العداء والتعصب، أم لابد أن تأتى لحظة تسود فيها المحبة ويعم السلام، ونعود جميعا لما قاله الأسلاف، نتعلم منه ونرسم طريقنا إلى مستقبل تتكامل فيه القوى الإنسانية، لبناء عالم مليء بالخير والرفاهية للإنسان، بصرف النظر عن اللون والدين والعرق والجنس .